

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب

قسم اللغة العربية

## الغربة والحنين

### في شعر القرنين السابع والثامن الهجريين في

العراق (دراسة موضوعية وفنية)

أطروحة تقدمت بها

الطالبة: زينب فاضل احمد النعيمي

المجلس كلية الآداب في الجامعة المستنصرية، وهي جزء من متطلبات نيل

درجة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الاستاذ: الدكتور عناد اسماعيل الكبسي

٢٠٠٧م

١٤٢٨هـ

## مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء، وخاتم المرسلين، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وعلى آله وأصحابه أجمعين . . . .

أما بعد:

ففي لفيف الغموض الذي يعترني أدب العصر العباسي الثاني، و عصوره المتأخرة في شقيها الشعري والنثري، يسعى قلة من الباحثين إلى تبديد ضباب ذلك اللبس حول النتاج الأدبي الذي تمخض من رحم تلك المرحلة، بالبحث تارة، و التحقيق تارة أخرى. ويبدو ان سمتي التخلف والضعف، كانتا ملازمتين لكثير من تصريحات الدارسين لها التي نظرت إلى الأدب نظرة قاصرة، وإنه لم يعد له وجود، لأنه عصر الانحطاط، أو مرحلة ما بعد الاحتلال، أو عصر وسيط. إن تلك المحصلة البحثية قد كشفت عن انقطاع الأواصر الثقافية، والأدبية بين العصور، فيما سبقها من مد ثقافي وابداعي، بالاعتماد على ربط السياسة بالادب، وانتهائه بنهاية بني العباس، وهو أمر دفعنا إلى البحث عما يخالف تلك الحقيقة، ويساند الحقبة بضمها للأدب في كثير من ثناياها، وأن السياسة بمؤثراتها المختلفة قد كانت من الدوافع المهمة لقول الشعر بمختلف أغراضه.

ويبدو أن النتاجات الشعرية التي حصلت عليها بالبحث والتحقيق، كانت الفيصل القاطع لتلك الحقيقة، وقد شجعتني لأخوض غمار البحث في أرضيتها الخصبة، إذ تفاعلت فيها كثير من العوامل، والمسببات من كوارث، وحروب، ومواقف اتصلت بحياة الشاعر ونفسيته، لتتمخض منها أهم الموضوعات الانسانية الأليق بالمجتمع العربي.

لقد أردت الوقوف على مرحلة تاريخية لم يتناولها أكثر الباحثين، في ظاهرة نبعت من ملابساتها السياسية، وجوانبها الاجتماعية، والفكرية، فكان شعر الغربة والحنين، من بين تلك النتاجات الشعرية البارزة في تلك المرحلة، والذي عبر عن أزمة الشاعر في عصره. فكان موضوع الغربة والحنين في شعر القرنين السابع والثامن الهجريين في العراق، عنواناً لأطروحتي للحصول على شهادة الدكتوراه، بعد جهد طويل من البحث، والتقصي، و الحوارات الثقافية حول جدوى النتاجات والموضوعات في تلك المرحلة، ومدى احتوائها على مضامين الغربة والحنين، مع كبار الأساتذة منهم د. ناظم رشيد شيخو، و د. عبد الرحمن كريم اللامي، و د. أدهم حمادي

النعيمي، و.د.عدنان رجب، و د.إسراء خليل الجبوري. حتى استقر الحوار فكرة، وانتهى موضوعاً للأطروحة.

لاشك في أن موضوع الغربة والاعتراب والحنين، ليس من الموضوعات الجديدة في ميادين البحث، فقد سبق أن وقف الباحثون عليه، وكانت لهم آراء تكشف عن أهمية هذا الموضوع وأصالته. منها الاعتراب في الشعر الجاهلي، للباحث أحمد صالح الزعبي، ٢٠٠٤م.، والغربة في العصر الإسلامي، للباحثة زينب كامل، ٢٠٠٠م، والغربة و الحنين في الشعر العربي في الأندلس، للدكتور أحمد حاجم سنة ١٩٨٣، والغربة والحنين في شعر العصر العباسي الثاني (٣٣٤-٦٥٦هـ) للباحثة أسماء إبراهيم سنة ١٩٩٩م. وغيرها من الدراسات الجادة التي كانت في مجالها لموضوع الغربة والحنين مفتاحاً عظيماً لمعرفة الأسس والجوانب التي اعتمدت في رصد تلك الظاهرة، فكانت دراستنا متممة لأدب العصر العباسي الثاني والأخير في قرنيه السابع والثامن الهجريين وتحديده في العـراق، ومحاولة الكشف عما أغفل فطرياً من دراسة موضوع الغربة والحنين في جوانب أخرى كان لنا الحظ الوافر في الوقوف عليها.

فصيرت الخطة على وفق رؤية خاصة، بنهج يغير تقسيم الموضوع على (غربة وطنية، وغربة نفسية، والحنين)، فارتأيت صب النتائج الشعرية بصورة جديدة، فدرست موضوع الغربة والحنين وفقاً للغرض الشعري، إيماناً بأن مصطلح الغربة والحنين، مصطلح لصيق بالغرض، أو الموضوع الشعري، فكان ذلك دافعاً إلى رفض تجزئة موضوعي الغربة والحنين ودراستها كلا على انفراد خاص في فصول، وعنوانات جانبية، إنما جمعت شتات الموضوعين في عنوان رئيس، ثم انطلقت به بعنوانات جانبية تتناسب الغرض، وعالجت حيثيات موضوع الغربة والحنين من عناصر نفسية (كالوداع، والرحيل، والفرق، واللجوء، والغربة النفسية، والحنين) من خلال الغرض الشعري، ومسوغات نظم الشاعر له، فكانت الغربة الوطنية ذات علاقة بالغزل، والثناء، والمديح في رحيل الشاعر بعيداً عن الأحبة ولجؤه للممدوح، وفي بعض جوانب الزهد، وغرض التصوف، والمدائح النبوية بين عناصر الغربة الوطنية من (الوداع، والرحيل، والفرق، واللجوء). وعالجت الغربة النفسية التي كانت بمضمونها جزءاً لا يتجزأ من مفهوم الاعتراب، من خلال بعض الأغراض التي يتوجب نظمها حالة خاصة من الاعتزال، والانكفاء النفسي، ومنها غرض الهجاء، وغرض الخمرة، والتصوف. أما الحنين فقد وجدنا أن دراسته توجب الاندماج مع حيثيات الغريبتين السابقتين لتداخل مضمونه العاطفي، والوجداني مع مشاعر الشاعر في نظمه لجميع الأغراض الشعرية، وبشكل متفاوت بين الشوق لرؤية الأحبة بمختلف شخصياتهم الحياتية، والدينية الأحياء، والأموات، وبين الحنين للعطاء المبذل من الممدوح، وبين حنين للسكينة الذاتية، و الشفاعة الروحية للخلاص من الذنوب والآثام يوم الخلود.

فكانت خطة الدراسة لموضوع الغربة والحنين ضمن المعاني والأغراض الشعرية الأخرى. لذا كان منهجنا قائماً على مناهج متعددة بين الموضوعي، و الوصفي، والتحليلي، اعتمدته في دراستي للموضوع، و في رصد اللوحات الفنية بالكشف عن منابع الجمال، وإعطاء النص تلك القيمة الأدبية والواقعية، فقد اعتمدت على المنهج التاريخي في ملامسته لحقيقة منابع شعر الحقة. وبهذا المنهج والتقسيم، اقتضت مادة البحث أن تكون على ثلاثة فصول، يسبقها تمهيد، و تعقبها خاتمة، و جاء التمهيد مدخلا مهما للموضوع في قراءة لحروف اللغة، والاصطلاح لمفهومي الغربة والحنين وجذرهما اللغوي والاصطلاحي، وما تشابك منها وما اتصل، مع التنويه بجذور الغربة والحنين في الشعر العربي، وصولاً إلى الحقة المنصرمة، في رؤية حقيقية وجادة للأرضية التي نمت في رحمها تلك الموضوعات.

و كان الفصل الأول بعنوان ( الغربة والحنين من خلال الأغراض الاتباعية)، و قد قسمته على خمسة مباحث، معتمدة احصائية تقوم على الكم، والتناول في الترتيب، فكانت الأغراض التقليدية ذات النزعة المادية الدنيوية، من (غزل، ورتاء، ومدح، وهجاء، وخمرة)، وهي أغراض قد خرجت في معالجتها عن الأغراض الأخرى في الفصل الثاني.

أما الفصل الثاني فقد كان بعنوان الغربة والحنين في الأغراض الدينية، وقد ارتأيت دراسة الأغراض ذات النزعة الدينية، التي عالجت موضوعات الغربة والحنين في رؤية جديدة وروحية، تختلف عما هو متداول في الأغراض التقليدية المذكورة آنفاً، فكان المبحث الأول منصباً لدراسة غرضي الوعظ والزهد، وكان المبحث الثاني في غرض التصوف، ورموزه، والرؤى الروحية مختلفة عند الصوفية، أما المبحث الثالث فقد انصب على المدائح النبوية، ليكمل المبحث الرابع موضوع المدح الديني في مدح آل البيت.

أما الفصل الثالث فقد كان منصبا في بحثنا على الدراسة الفنية، التي جاءت على ثلاثة مباحث، تناولت في المبحث الأول اللغة، والتركيب وقد جاء المبحث الثاني بعنوان الصورة الشعرية، التي تمثلت بالتشبيه، و الاستعارة، و التضاد، والكناية، وغيرها من الصور الحسية، وكان المبحث الثالث الموسيقى الشعرية والإيقاع في دراسة للصوت، وعلاقته بالجانب النفسي، و درست فيه الموسيقى الخارجية المتمثلة بالوزن، و القافية، و الموسيقى الداخلية، و تمثلت بـالتكرار بأنواعه، والجناح، والجناس بأنواعه، و رد العجز على الصدر، والتدوير، و ختمت الموضوع بخلاصة دقيقة لأبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة، و تبعتها بقائمة المصادر و المراجع التي اعتمدت عليها في دراستي، و ملخص باللغة الانكليزية.

ولتوثيق الأمانة العلمية في الكمية الأدبية الملحقة بالتراجم، والتي هي العمود الفقري للأطروحة في موضوعها، سعيت للوقوف على كثير من الكتب، وعلى وفق ما تشير إليه قائمة المصادر

والمراجع في وقفة جدية للحصول على المادة العلمية فحسب ويعيدا عن المبالغة في اغناء القائمة بتلك الأعداد من المصادر، فكانت رحلة الحصول على المصادر صعبة، ولاسيما غير المحقق منها، وهو أمر أخذ من وقت الأطروحة الكثير، للوقوف على حصيلة تامة و دقيقة، وأرى أن سعبي للحصول على كتاب عقود الجمان لابن الشعار الموصلية بتحقيق كامل للأجزاء من د. كامل الجبوري، يستحق مني أن أقف أمامه باعجاب وفخر لتجشمي المصاعب، والأهوال للحصول على الكتاب، والافادة من التراجم التي فيه، فاستعنت بكل المصادر والكتب التي تعود أو تنسب أغلب أشعارها إلى ابن الشعار في عقوده المخطوطة، حتى أرجعتها إلى الكتاب الأم بعد زمن وجهد كبيرين.

وارتأيت منهاجا خاصا دقيقا في المدة الأدبية وتراجم شعرائها، بإزالة اللبس بإخراج كل ما يشوب عملنا الأدبي، فتم إسقاط أكثر الشعراء المغمورين، ممن افتقرت نتاجاتهم الأدبية، ملامح الغربة والحنين في إحصاء مبني على أسس مهمة، هي:

١- لقد اعتمدت في رصد النتاجات الشعرية ونسبها الصحيح إلى البيئة العراقية، فدخل التصنيف الشعري من كان عراقيا في النسب والولادة، والنشأة والتعلم، ويبقى عراقيا حتى لو سافر، أو هاجر، بقصد التعلم، أو التوطن، أو الاستقرار، بعيدا عن موطنه حتى مماته لأسباب معاشية أو سياسية، ومنها فقد استثنيت الشعراء من أبناء الجند من الموالي، والمماليك من الأتراك، و ممن ترجع أصولهم إلى غير العراق، لتكون النصوص الشعرية عراقية بحتة، ولشعراء عراقيي الأصل .

٢- التحقق من عراقية الشاعر بتتبع خطوات حياته، بالوقوف على أهم أخباره، و آثاره، واتصاله بأهم الأعلام، وهو امر أدعى إلى عدم وقوفنا على كثير من الشعراء المشهورين ممن لم تنطبق عليهم قواعد الاحصاء، كالشاعر شهاب الدين السهروردي صاحب العوارف والمعارف، وعمه الشيخ أبي النجيب عبد القاهر، على الرغم من نشأتهما ووفاتهما ببغداد سنة ٦٣٢هـ، أو غيرهم من الشعراء ممن لم ترد ظاهرة الغربة والحنين بمضامينها بشعرهم وبكمها الجلي العاطفي.

٣- وبالالتفاق مع الأستاذ المشرف د. عناد اسماعيل، ومن قبله د. عدنان رجب في إحصاء الشعراء ممن كانوا عراقيين في أصولهم، كان لابد من توثيق تلك الحصيلة بالتأريخ، وتحديد تراجم الشعراء بمن كانت وفياتهم سنة (٦٠٥هـ) تحديدا، في مخالفة لما ذهبت إليه الكتب، و المصادر التاريخية في تراجم شعرائها.

٤- قسمت هذه الكمية الشعرية على أقسام عدة لاختلاف الموضوعات، ومعالجات الشعراء، و طرائق تعبيرهم في الأغراض التي كانت بدورها مختلفة تماما في تعبيرها، وحسيتها ليس بالغربة

والحنين فحسب، وإنما باتجاهات عدة. والتي خرجنا بحصيلة جيدة من النتائج بتلك التوجهات والنتائج الشعرية.

لقد دفعنا الحرص على ترصين المادة الأدبية، وانتسابها لهذه المرحلة (القرنين السابع والثامن الهجريين) إلى التدقيق في تاريخ الوفاة، ومناسبتها مع العطاء الشعري، فكانت سنة ٦٠٥هـ الفاصل لذلك اللبس والإشكال في عمر الشاعر سبب رجوعنا هو تحاشي وقوع ظاهرة الخرف والكبر في حياة الشاعر، فضلا عن أن أغلب الشعراء، قد ينفد عطاؤهم الأدبي في أواخر حياتهم، مما يؤدي إلى قلة النتاج الشعري. فكان استقصاؤنا دقيقا للشعراء لا يخلو من عناء شديد، وحرص على إخراج من شكك في وفياتهم، أو أصلهم العراقي، ليتهايا لنا الكثير من النماذج الصالحة للدراسة التي لا هوان فيها.

لقد أزاح هذا التصنيف عناء البحث والتتبع من القارىء، وكشف عن فهم خاص، ودقيق من الباحثة على وفق أسس جديدة في البحث، و إني سعيت إلى نفض الغبار عن كثير من تراجم الشعراء والتعريف بهم، في تلك المرحلة، والسعي لضمهم إلى نخبة الشعراء من المغمورين، و تركت الوقوف على غيرهم، لخلو شعرهم من تلك الظاهرة، أو كانت وفاته قبل سنة ٦٠٥هـ . و في الختام لابد من الاشارة إلى أن هذا الجهد العلمي المتواضع ما وجد لولا الجهود العلمية للمشرف الدكتور عناد اسماعيل الكبيسي، الذي غمرني بكرم خلقه، وعلمه وصبره الطويل في هذا الوقت الصعب، فله شكري واحترامي الكبيرين، و أشكر لجنة المناقشة لما كابته من عناء قراءة الأطروحة، وتقويمها بالملاحظات السديدة، و كل من ساندني برأي، أو نصيحة، أو كلمة طيبة، والحمد لله على نعمه أجمعين.

## الباحثة